" يا مقلب القلوب، ثبت قلبي على دينك"، وهو يعلم أن قلبه بيد الرحمن ﷻ وأن الله سبحانه يصرفه كما يشاء.

فضرورته إلى ربه بحسب معرفته به وحسب قربه منه ومنزلته عنده ولهذا كان أقرب الخلق إلى الله وسيلة وأعظمهم عنده ولهذا كان الرسول أرفع الخلق منزلة وجاها عند الله لتكميله مقام العبودية بالفقر إلى ربه، فمقام الرسول ﷺ بكمال عبوديته لله سبحانه وتعالى وبكمال مغفرة الله له، فقد غفر له الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

وكان الرسول ﷺ يستفتح في صلاة الليل: "اللهم لك اسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت وإليك حاكمت". وقالت السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: "وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه قط". "وما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما"، ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعد الناس عنه، وما انتقم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها، وكان أبعد الناس غضبًا وأسرعهم رضا.

عصمة الله لرسوله ﷺ

لقد عصم الله سبحانه وتعالى رسوله ﷺ من كل مكروه. حفظه من شياطين الإنس والجن، وقد تجلت هذه العصمة بما قيضه الله من ملائكة كرام أحاطوه بالرعاية الإلهية والحفظ حتى البعث للنبوة وحتى أتاه اليقين.

فعندما كان رسول الله ﷺ ينقل الحجارة حين بنيان الكعبة مع قومه، وكان رسول الله يحمل الحجارة على عاتقه فسقط مغشيًا عليه وقال غزارى إزارى وشد على إزاره فضمه عمه العباس إلى نفسه وسأله عن شأنه فأخبره أنه نودى من السماء أن اشدد عليك إزارك يا محمد، فلا ينبغي لرسول الله ﷺ أن تكشف عورته.

وحينما اصطحبه عمه أبو طالب فى تجارة الشام فقد عرفه بحيرى الراهب عندما لاحظ غمامة كانت تظل رسول الله ﷺ وتظل الشجرة التى استظل بها فقام إليه بحيرى الراهب ليسأله عن أشياء يتثبت بها من أنه ﷺ هو النبى المنتظر الذى يجدونه مذكورًا عندهم فى التوراة ولقد حذر عمه أن يعلم به اليهود فإنهم لو علموا به لقتلوه ونصحه بالرجوع به كما ذكرنا من قبل.

بالإضافة إلى هذا فإن الله سبحانه وتعالى قد حفظه أثناء فترة رعيه للغنم فلقد استأذن فتيان مكة من رعاء الغنم حتى يسمر فى ليلتين مثلما يسمر الفتيان، ففى تلك الليلتين جلس فى احدى الدور قالوا تزوج فلان فلانه وسمع عزفًا بالغرابيل، وضرب الله على أذنيه فما أيقظه إلا الشمس فى صباح اليوم التالى.

وقد حفظه الله سبحانه وتعالى قبل البعثة من أن يسجد لصنم أو حتى يحضر العيد الذى كان قومه يقيمونه لأصنامهم، ولما ألح عليه عمه أبو طالب لكى يحضر ورأى عماته وقد غضبن عليه أشد الغضب، وجعلوا يقولون له أما تحضر لقومك عيدًا. فلم يزالوا به حتى ذهب، فغاب ما شاء الله ثم رجع إليهم مرعوبًا فزعًا، فلما سألوه ماذا رأيت؟ قال: إنى كلما دنوت إلى صنم منها تمثل لى رجل أبيض يصيح بى وراءك يا محمد لا تمسه. كما عصمه الله سبحانه وتعالى من محاولات قتله، التى حاول أن يفعل أكثرها اليهود، فنجاه الله منها، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ (المائدة ٦٧).

كما أن شيبه بن عثمان بن أبى طلحة أراد أن يقتل رسول الله ﷺ لمقتل أبيه يوم أحد فأراد أن يثأر منه، فأقبل إليه شيئ حتى تغشى فؤاده، فلم يطق ذلك وعلم أن رسول الله ﷺ ممنوع عليه.